الدرس(١١) بداية الدعوة الاسلامية السريّة وأول الناس اسلاماً:

المسلمون السّابقون الى اعتناق الاسلام: يذكر المؤرخون أن هناك مجموعتان سبقت الآخرين الى تلبية رسالة محمّد(صلّى الله عليه وله وصحبه) من شرائح المجتمع المكّي اثناء مرحلة دعوته السرّية؛ وهما :

أولاً ـ الشباب: كان معظم المسلمين الأوائل وبحكم امتلاكهم الروح الفيّاضة والعقول النيّرة والذهنية المنفتحة؛ هم الشباب فقد كانوا مستعدين لاستقبال الافكار والمعتقدات الحديثة ، بخلاف الشيوخ وكبار السن فقد كانت ثقافة عبادة الاصنام متأصلة في نفوسهم ، ومنها ما روي أن رجلاً من قبيلة هُذيل دخل مكّة المكرّمة ، فدعاه النبي(صلّى عليه وآله وصحبه) الى الاسلام ، فقام اليه أبو جهل قائلاً: ايّاك أن تركن الى قوله ، فقال له الهذلي: لماذا لاتخرجوه من دياركم ، فقال له أبو جهل: لو أخرجناه وسمع الفتيان حلاوة كلامه لاتبعوه ؛ وربما يغزونا بهم ! (١)

،ومنها أن عتبة أحد كبّار مشركي قريش ، لمَا التقى أسعد بن زرارة أحد كبار بني الخزرج في يثرب شكا اليه ميل الشباب الى رسول الله(ص) (٢) ، وعند استعراض قائمة المسلمين الأوائل فان أعمارهم لا تربوا على أكثر من(٣٠ عاماً)فكان عمرُ سعد ابن ابي وقّاص(١٧أو١٩عاماً) وعمرُ الزبير بن العوّام هو(١٥أو ١٦عاماً) وعمرُ عبد الرحمن بن عوف هو(٣٠عاماً) وعمرُ مصعب بن عمير هو(٢٥عاماً) وعمرُ الأرقم الذي وضع بيته في خدمة النبي هو(٢٠عاماً) وهكذا غيرهم من الأوائل (٣) .

ثانياً ـ المحرومون والمظلومون؛ وهم:

١- وهم طبقتا العبيد والمعتوقون: ويطلق عليهم اصطلاحاً(الموالي) وهم الذين تربطهم باسيادهم علاقة الماك والمملوك .

٢- الغُرباء: وهم الذين وفدوا من مناطق أخرى وسكنوا مكّة المُكرَّمة ، ولأنهم لاينحدرون من قبائلها ، فقد انضووا تحت قبيلة قريش للحفاظ على أنفسهم وأموالهم ، ولذا فهم لايمتلكون قدم المساواة مع أفراد قبيلة قريش وانما يصنفون ضمن الطبقة الأدنى! (٤) ومنها لمَّا مرَّت جماعة من وجهاء مشركي قريش على مجلس للنبي(صلّى عليه وآله وصحبه) فوجدوه جالساً مع:بعضاً من هؤلاء الطبقتين أمثال؛ صهيب

---

(١) البلاذري ، انساب الاشراف : ١٢٨ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي : ٣٧/٢ دار صادر ، بيروت – ١٩٦٠م ، ينظر : الطبرسي ، اعلام الورى باعلام الهدى ، مؤسسة آل البيت (ع) لاحياء التراث قم المقدسة – ١٤١٧ هـ : ١٣٧/١ ، ينظر : المجلسي ، بحار الانوار : ٨/١٩ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٢٢٢/٣ـ٢٢٤.

(٤) المصدر السابق : ٢٤٨/٣ .

والخبّاب بت الأرت وبلال وعمّار وأمثالهم؛ فقالـــوا له: يا محمّد أرضيت ـ اِستبدلتَّ ـ هؤلاء من قومك؟ أنحن نكون تبعاً لهم؟ أهؤلاء الذين منّ الله عليهم وهداهـــم ؟ أطردهم عنك ، فلعلك أن طردتهم تبعناك! فأنزل □ تعالى ((ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشـــي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلآء منَّ الله عليهم من بيننا))[1] .

أبرز السابقين الى الاسلام : كانت حصيلة دعوة رسول الله(صلَّى عليه وآله وصحبه) الى الناس سرّاً مُدّةُ ثلاث أعوام متواصلة ؛ أنْ دخل حضيرة الاسلام أربعون فرداً ؛ وكان من أبرزهم: آل بني هاشم ؛ وهم :زوجته السيدة خديجة ـ وعمه أبوطالب ـ وزوجته فاطمة بنت أسد؛ وهي أول أمرأة أسلمت بعد السيدة خديجة ـ وابن عمه علي أبن أبي طالب ـ وفاطمة الزهراء ـ وجعفر بن أبي طالب ـ وحمزة بن عبد المطّلب ـ وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطّلب ـ وفاطمة بنت الحمزة بنت عبد المطّلب ـ وزيد بن حارثة ـ وطلحة بن أبي عبيد الله ـ وأبوعبيدة الجرّاح ـ وأبو سلمة(زوج ألسيدة أم سلمة) والأرقم بن أبي الأرقم ـ وآل مظعون :عُثمان وقدامة وعبد الله ـ وعبيدة بن الحارث ـ وسعيد بن زيد ـ وأبوبكرعبد الله بن أبي قحافة [2] وعثمان بن عفان ، وغيرهم [3] رضوان الله عليهم .

---

(١)سورة الانعام (٦) : آلآيات ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) اختلفت الروايات في اسلام الخليفة الأول أبوبكرالصديق(رض) فقد أورد ابن هشام في سيرته نقلاً عن ابن اسحاق ان ابا بكر كان اسلامه بعد (علي)أول الذكور ثم تلاه الصحابي زيد بن حارثة ثم ابوبكر(رضوان الله عليهم) ابن هشام ، السيرة النبوية :١ـ٢/ ٢٤٥ ـ ٢٤٩، فيما ذكر ابي هلاّل العسكري:ان السيدة عائشة (رض) حين وقفت في معركة الجمل بالبصرة (مفتخرة بابيها) انَّ أباها أبوبكر كان رابع المسلمين (رضوان الله عليهم)؛ الاوائل : ٩٨، وقد ذكر الذهبي عن الحسن بن زيد :ان علياً أول ذكر أسلم في الاسلام ثم أسلم زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب وكان ابوبكر الرابع أوالخامس (رضوان الله عليهم)، وقد ذكر الطبراني : ان ابابكر قد أسلم بعد حادثة الاسراء والمعراج والتي وقعت أحداثها بعد مرور سنة ونصف قبل الهجرة المباركة ؛المعجم الكبير :٤٣٤/٢٤ومثله أورده الهيتمي ، مجمع الزوائد:٧٦/١ ومثله ابن برهان ، السيرة الحلبية :٢٧٣/١ فيما أورد الطبري : أن ابا بكر قد أسلم قبله أكثر من خمسين مسلماً وكان اسلامه في السنة التاسعة الهجرية ؛ تاريخ الطبري :٦٠/٢ وقد شاركه الرأي ابن كثير في البداية والنهاية :٢٨/٣ و□ أعلم .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية : ١ ـ ٢٤٥/٢ .

دعوة عشيرته ألاقربين: بعدما فكّر النبي (صلَّى الله عليه وآله وصحبه)في دعوة عشيرته الاقربين ، جاءه أمر الله تعالى بان يدعُ عشيرته الأقربين((وانذر عشرتك الاقربين)) [1] فدعا عشيرته الى طعام ، وما أن تأهب للحديث حتى قاطعه عمّه أبو لهب وحذَّره من الأستمرار في الدعوة ، فانفضَّ المجلس من غير أن يُباشر الرسول دعوته لقومه ، وبعد مضيّ عدة أيَّام دعا رسول الله عشيرته مجدداً ، ولمَّا فرغوا من الطعام بادرهم قائلاً : يابني عبد المطلب ان الله بعثني الى الخلق كافة ، وبعثني اليكم خاصة ، فقال: ((وأنذر عشيرتك الاقربين)) وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ، ثقيلتين في الميزان: (شهادة أن لااله الاّ الله وأني محمّد رسول الله ، فمن يجيبني الى هذا الأمر ، ويؤازرني عليه وعلى القيام به ، يكن أخي ووصييّ ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي)[2] ، فوقف عليُّ بن أبيطالب(عليه السلام) وكان أصغر الحاضرين سناً قائلاً: (أنا يا رسول الله أوازرك على هذا الأمر) فيأمره الرسول بالجلوس ، ويكرر دعوته ، فلم يجبه اِلاَّ عليٌّ ، ويُعيد الرسول(صلى عليه وآله وصحبه) دعوته ثانياً على قومه ؛ وللمرّة الثالثة يُردد عليٌّ مُلبياً دعوة الرسول ، وعند ذلك يلتفت اليه رسول الله(ص) قائلاً: (اجلس ؛ أنت أخي ووصييّ ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي) [3] .

دعوة عموم الناس الى الإسلام الحنيف: بعد أن انقضاء ثلاث سنوات من السريّة في الدعوة ودعوة النبي (صلَّى الله عليه وآله وصحبه) لعشيرته الاقربين ، أنطلق الى الدائرة الأوسع وهم عموم الناس ، وكان ذلك طبقاً لقوله تعالى ((فاصدع بما تُؤمر وأعرض عن المشركين * اِنّا كفيناك المستهزئين)) [4]، فصعد الرسول على صخرة عند جبل الصفا وجمع الناس اليه مُنادياً بصوت عالٍ: (أرأيتكم اِنْ أخبرتكم اِنّ العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم مصدقوني) قالوا:بلى؛ فقال لهم:(فاِنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد) ورغم انّ أغلب الناس انصرف اِلاّ انّ بعضهم استجاب وآمن ، وكانت النتيجة أن دعوة التوحيد قد دخلت كل بيوت مكّة المكرّمة ، ولم ينثني عن الجهر بالدعوة فأقام بالابطح مرّة أخرى؛ قائلاً:(إني رسول أدعوكم الى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الأصنام التي لاتنفع ولاتضر ولاتخلق ولاترزق ولاتحيي ولاتميت) [5] : وحصل هذا اثناء موسم الحج وبهذا فقد دخلت دعوة الناس الى التوحيد مرحلة جديدة وهي تعدد الإمكنة والأزمنة والمواضع ففي موسم الحج ، وفي منى ، وبين القبائل المجاورة لمكّة المُكرَّمة . ومع هذا كله فلم يبعد عنه قومه ولم يردّوا عليه .

---

(١)سورة الشعراء(٢٦) : آلآية ٢١٤ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ :٢٤/٢، ينظر : محمد الغزالي (ت ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م) فقه السيرة ، دار القلم دمشق – ١٤٢٧م :١٠٢ .

(٣) ابن حنبل ، مسند أحمد :١١/١ و ١٥٩، ينظر : النسائي ؛ ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت ٣٠٣ هـ / ٩١٥م) خصائص امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، احمد ميرين البلوشي ، مكتبة المعلا ط / ١ الكويت - ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م : ٦ ، للمزيد ينظر: الطبري ، تاريخ الامم و الملوك:٢١٧/٢ ، للمزيد ينظر: ابن الاثير ، الكامل في التاريخ:٢٢/٢، للمزيد ينظر: المتقي الهندي ، كنز العمال :٦ ح٦٠٠٨ ، للمزيد ينظر: ابن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية :٣٨١/١ .

(٤)سورة الحج (١٥) : ألآيات ٩٤ـ٩٥ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي : ١٩/٢ .